ومعارك الحيوانات الضارية التي تريد أن تلعق دم الإنسان ، وبجانب كل هذا يوجد الأزهار والثمار والظلال ، وعلى الإنسان أن يعيش وسط تلك الغابة ، ويتحمل فحيح الأفاعي ، ومعارك الحيوانات ليظفر بالأزهار والثمار والظلال ، فالوجود قاس ، ولا يعيش فيه إلا من كان أقسى وأقوى من شرور وآلام الوجود ... فهي دعوة يطلقها المازني لنكون أقوياء ، لنقبل تحدي الوجود ، ولننتصر على قبحه وفساده وانحلاله .

الصراع المجهض عند المازني

تتوقف جودة العمل القصصي على استكمال الصراع لكل مقوماته وقيامه على أسس تتوافق ومنطلقية الغرض القصصي الذي افترضه القاص منذ البداية والصراع يمر بمراحل ليتشكل شيئًا فشيئًا في النهاية ، لتتمثل ذروة الصراع أو الأزمة التي تقع فيها الشخصية المحورية أو الشخصيات ، لتواجه نفسها والشيء المتصارع معه ، ثم تبحث عن حل لتلك الأزمة أو تحاول الخروج من هذا الصراع .

ونوعية الصراع يجب أن تتوافق وطبيعة الشخصية ، حتى يكون الصراع حادًا ، ويلقي من الأبعاد والمعاني ما يبرزه بصورة واضحة جلية إلى الوجود .

ويبادر سؤال إلى الذهن : هل نوعية الصراع هي التي تحدد أمزجة الشخصيات أم أمزجة الشخصيات هي التي تحدد نوعية الصراع في القصة ؟

وعلى كل فيجب أن يكون هناك توافق ما بين نوعية الشخصية وتكوينها النفسي والمزاجي وفلسفتها ونوعية الصراع ، وإلا سيفقد حركته وتصاعده نحو الذروة ، ولن تتبلور حدة الأزمة على امتداد القصة ، وإن حدث هذا فستصبح الشخصية مطموسة الملامح والسمات ، ليست لها أي تميز أو تفرد .

والتوافق ما بين نوعية الصراع ونفسية الشخصية تجده – على سبيل المثال – وليس الحصر – في (عطيل) لشكسبير . فالصراع كان من أجل الشرف . ولا يعتز بالشرف ويغير تلك الغيرة القاتلة مقترنة بالدم سوى العربي . أو من تجري في عروقه الدماء العربية . لذلكنجد شكسبير يختار لدراميته شخصية عربية مغربية ليتصاعد الصراع متوافقا مع نوعية الشخصية . ليصل إلى ذروته متمثلاً في قتل (عطيل) محبوبته (ديدمونة) . كذلك في رواية (قنديل أم هاشم) ليحي حقي فالرواية عبارة عن صراع ضد الجهل . المادية العلمية ضد روحانية الشرق والشخصية التي اختارها (يحي حقي) لهذا الصراع شخصية تلقت تعليما راقيا وثقافة رفيعة متصلة بأسباب العلم الحديث الذي لا يعترف إلا بالمادة . والعلة والمعلول . والسبب والمسبب .فالروحانية المتمثلة في زيت قنديل (أم هاشم) تتعارض لديه وهذا العلم الذي تلقاه . والروحانية التي توحي بقدرة زيت القنديل أن يشفي العمى . تتعارض مع قوانين الطبيعة والمنطق اللذين هما قوام تفكير الشخصية الرئيسية .

وقرار نهاية أو حسم الصراع لابد وأن يكون بيد الشخصية موضوع الصراع وأن يكون نابعًا من تفكيرها ومكونات نفسيتها . لا تتدخل قوة خارجية لتنهي الصراع لصالح الشخصية أو لغير صالحها . لنه بذلك يكون صراعا أجوف ليس له أي معنى . وألاَّ تنهي الشخصية الصراع من خلال هروبها من أن تصدر قرار حل أزمة مصيرها أو وجودها ... فإذا حدث هذا يكون الصراع مستنفدا لأغراضه . أو قل هو صراع مجهض . لم يعط له حقه حتى يظهر معدن الشخصية . أو يظهر ما

يختفي في داخلها من مشاعر وأحاسيس لا تظهر إلاَّ إذا تعرضت الشخصية لنار الصراع وشدة أوزاره .

والصراع في قصص المازني مجهض لا يصل إلى نهايته ، وترى الشخصية تخاف هذا الصراع ، فيه دائما في هروب ، مثل الصراع في (إبراهيم الكاتب) أو أن الشخصية تنتظر من قوة خارجية أن تتحمل عنها نار الصراع وتتحمل عنها أيضا قرار إصدار حسم الصراع مثلما هو حادث في (ثلاثة رجال وامرأة) .

أو قد لا تجد هنالك صراع وإن وجد فهو أجوف ، لا عمق ولا بعد له مثل (إبراهيم الثاني)و(ميدو وشركاه)و(عود على بدء) .

الصراع في (إبراهيم الكاتب) والبحث عن صياغة للوجود

تبدأ القصة بزيارة يقوم بها (إبراهيم الكاتب) لأقاربه في قرية من قرى مصر ، وأحداث القصة تبدأ في بيت خالته (نجية) وزوجها الشيخ (على) ، وتعيش مع (نجية) أختاها (شوشو) و (سميحة) . ونعرف عن (إبراهيم) أنه كان متزوجا من قبل وتوفيت زوجه تاركه له ولدا ، وقد قضى قبل زيارته للقرية حينا من الزمن مريضا في المستشفى ، أما سبب زيارته لأقاربه ، فيخبر به (شوشو) بعد أن ألحت عليه تستخبره عما حدث بالمستشفى ، حينما فهمت أنها ذكرى تؤلمه على حد قوله ، تسأله (شوشو) :

- إبراهيم ، ابن خالتي ! مالك ؟ ما تتكلم ! لست أفهم !

- ربما كان خيرًا ألا تفهمي ؟

فأدارت إليه وجهها وقالت :

- ولكـني لا اسـتطيع أن أراك هكـذا ! ألسـت بنـت خالتـك ؟ أم أنـت تستصغرني ؟

- كلا يا شوشو.

- قل لي إذن ولا تدعني أتألم من أجلك هكذا بسبب جهلي ما يؤلك .

- مـاذا أقـول ؟ لقـد دخلـت المستشـفى لأتـداوى مـن مـرض فشـفيت ولكـني خرجت بمرض جديد شر ما فيه أنه لا طبيب له إلاَّ .

- إلاَّ من ؟ قل اسرع !

- لا اقوى على أكثر من هذا يـا شوشو. بل أقول أني مـا أتيت إلى هنـا إلاَّ لتداوى ولكن بلا جدوى على ما يظهر.

- فجرى ببـال شوشـو خـاطر لمحـت إليـه ومنعهـا الحيـاء والأدب والمحافظـة على كرامة ابن خالتها أن تفصح عنه وجعلت تتمتم :

- أ.... سامحنى ولكني أأنت في حاجة إلى .....ما

فالتفـت إليهـا بسـرعة وقـد ادرك غرضـها ولم يـدعها تـتم الكلمـة وصـاح وقد فاضت نفسه بالإحساس المكتوم .

- يا بلهاء .

وانطلق هاربا من الغرفة . وخلفها واقفة مبهوتة واجمة تحملق في أثره وفمها مفتوح من الدهشة حتى كأ نما أحالها بصيحته تمثالا للبلاهة) .

إذن سبب زيارته هي هروبه من حب (ماري) التي قامت على تمريضه أثنـاء وجـوده بالمستشفى . والتي نشأ بينـه وبينهـا علاقة من نـوع مـا ، وقد أتـى إلى القريـة ليتداوى .

أما لماذا ترك (ماري) بعد أن قامت بينهما تلك العلاقة لا سيما وأنهما يتشابهان في كثير من أمورهما ؟ في صفحة (٢٤) : (وشاءت المقادير أن يتشابها فيما وقع لهما ، فهو فقد زوجته وهي فقدت بعلها ، وكل من القعيدين خلفا وراءه طفلا ، وفي كلتا النفسين ذلك الحنين المخنوق) .

أما سبب الانفصال بين إبراهيم وماري ، فيوضحه في صفح (٢٥): (واستمرت العلاقة بينهما بعد أن بارح المستشفى إلى بيته ، وكثرت المحادثات بينهما بالتليفون والمقابلات ، غير ان الإرادة التي وهنت مع المرض ، عادت مع الصحة ففطن إبراهيم إلى ما في علاقتهما من الحرج ، وأدرك أن الأمر يوشك أن ينقلب مشكلا ، ورأى انه لا يستطيع أن يرضاها زوجة ، وأنها تطمح فيما هو أسمى من مرتبة الخليلة ، وهيها لم تطمح فإن ذلك لا يحل مشكلة حياته ، ولا ينيله مآربه ولا يبلغه ما يتمنى من السكون إلى الحب المنزلي الذي لا يعدل به شيئا) .

فقد أعطانا إبراهيم مبررا لنشوء تلك العلاقة ، وهي ضعف إرادته أثناء مرضه حتى إذا شفي وعادت إليه الإرادة ، زال مبرر وجود العلاقة ، وقد شعر بالحرج ن فهو لا يستطيع أن يرضاها زوجة ، وإن لم يوضح لنا سبب ذلك ، ولا يرضى بها خليلة ، لأنه لا يعدل عن الحب المنزلي ، أي الحياة الزوجية الهادئة . ونلاحظ أن المتحكم والمتحدث هنا هو العقل ، لأن نفسه ما زالت تصبو إلى (ماري) وإلاَّ لم الهروب ؟

وتبدأ مشكلة إبراهيم هنا ، هاربا من وجود لا يرضاه ، ولا يرضي عنه ، باحثا عن وجود يصبو إليه وإن كان في طي الغيب ، وإن كان في الوجود المهروب منه ما يبحث عنه ، ولكنه عسى أن يجد في البحث بغيته ، أو هو يسمو إلى الأفضل

والأحسن ، فتلك – ماري – تزوجت وأنجبت فلعل الأقدار تقيض له ما لم تتزوج ولم تنجب ، أو هو يعشق البحث الدؤب عن الوجود الذي يطمئن إليه وتسكن النفس له ، فبداية القصة تبدأ بالبحث ، والنفس الباحثة يضطرب فيها شعور القلق ممتزج بالتوتر والتوقع والاستشراف ، يبحث عن منوال لينسج عليه وجوده ويجده في شوشو .

ونشعر هنا بأزمة الشخصيات ، تلك الأزمة التي يشعر بها الإنسان حينما يكتشف أن هناك قوة أخرى تصنع وتشكل وجوده ، وأنه مجبر على قبول هذا الوجود في نهاية الأمر ، ويشعر أنه أدنى مرتبة من الحشرات الدنيا التي تشكل وجودها وعالمها بنفسها ، وتلك القوى هى العادات والتقاليد والعرف والقونين التي تتحكم فينا ، وتتولى مهمى صنع حياتنا ، كي تجنبنا عناء التعب !

فالصراع هنا – كما سنعرف – ضد وجود قد شُكل من قبل ، بمواصفات جاهزة ، والشخصية ترفض مثل هذا الوجود (المحفوظ) في علب الملل والسأم وتبحث عن وجود آخر ، هو الوحيد الذي يقوم بصنعه وتشكيله .

وحينما أحست (شوشو) بقوة إلحاح عاطفة الحب على نفسها وجسدها وأعصابها ، أرادت أن تصارح إبراهيم بتلك العاطفة ، ولكن كيف السبيل إلى ذلك ؟ فجبال التقاليد الراسخة وصخورها العتيقة تمنعها بمصارحة إبراهيم وهي متيقنة من حب إبراهيم لها ، ولكن حبال وخيوط التقاليد المبرمة تعقد لسانه أن يبوح لها بحبه هو الآخر. تقول في صفحة (٧٤) : (وهالها أن تشعر بالوحدة في هذا العالم الزاخر ، وأن ترى إلى أي حد أرضاها حبها لإبراهيم مستفردة ، وفي هذه اللحظة فقد أدركت أن حولها أربعة جدران سميكة ، وأن هذه الجدران الأربعة

– من ورائها ومن قدامها وعن يمينهاوعن شمالها – محيطة بها مسدودة عليها حيثما تكون من الأرض . لماذا خلقها الله في مصر ؟؟لماذا يضرب عليها الشقاء ؟ حتى إبراهيم لا يسعها أن تذهب إليه وتقول له : (إني أحبك) كلا! هذا أيضا مستحيل . لأن التقاليد تأبى ذلك وأنها لواثقة الآن أن إبراهيم يحبها وأنه يتمنى لو استطاع أن يعلن لها حبه . ولكنه مثلها لا تقيد لسانه التقاليد والآداب . وما أدراها ؟ لعله الآن – في هذه اللحظة بعينها – تؤرقه الحيرة والكمد إلاَّ أن في هذا العزاء لقلبها) .

فتلك نفس تحاول أن تنطلق ولكنها مقيدة بسلاسل من عادات وتقاليد إلى أرض عالم لا تستطيع أن تشعر بين جدرانه بذاتها . بل هذا العالم بقوانينه يحرم عليها مشاعرها وأحاسيسها التي بغرها لا تشعر بذاتها . فهو عالم يؤد أعز ما يملكه الإنسان . لذلك تشعر بالغربة . وتدفعها آلام تلك الغربة إلى رفض العالم والبحث عن عالم آخر . أم أن حتى هذا البحث تحرمه عليها قوانين هذا الوجود !

ويشعر إبراهيم بما تشعر به شوشو . ويترجم أزمته في صفحة (٧٨) : (لقد تحول حبه لشوشو من اخوي إلى جنس . ذلك ما لاشك فيه . فهل له أن يأمل أن يفوز بها وأن يقنع أهلها أن يزوجوه منها ؟ كلا ! فإن في الطريق تلك البنت الخبيثة التي لا تحجم عن كل شر إذا هم أهلها أن يقدموا عليها شوشو عليها . وستكون النتيجة أن تشقى شوشو وهي ستشفى على الحالين ن ولكن أهون الشرين أن تيأس من الآن . والعاطفة غضة لم يستفحل أمرها ولم يستعص علاجها . وهو ؟ أوه . ليست هذه بأول عاطفة احتاج أنيخنقها ! وأنه لعذاب وانه ليحس كأنما يقتلع أحشاءه مع العاطفة التي يحاول أن ينتزعها من قلبه) .

ولكن لماذا دأب إبراهيم على خنق عواطفه ؟

أذلك لأن أو المكان الذي يعيش فيه أضيق من أن يحترم مشاعر وأحاسيس الإنسان ؟

وفي هذا المكان لابد للإنسان أن يتنازل عن بعضه كي يسعه المكان ، وإلاَّ ليبحث عن مكان آخر يجد فيه متسعا لإحاسيسه ومشاعره ... عالم لا يحجر على الإنسان ويقيده بقيود من الجهل والغباء .

وتلتقي النفسان – إبراهيم وشوشو – في حديث يكشف عن حدة هذا الصراع وإن كان في جانب إبراهيم أشق وأحد ؛ لأنه أكبر سنا وأكثر تجربة ن وهو المسؤول عن الحد الذي وصلت إليه شوشو... يقول في صفحة (٩٠) ، (إني أكبرمنك سنا وأكثر تجارب ، ولم يكن من حقي أن أدع الأمر بيننا يبلغ هذا الحد ن وعلى أن لك على صغرك وغضارة سنك وقلة خبرتك ، من الذكاء ما يعينك على التقدير السديد والنظر السليم وأني لأعلم كما تعلمين أن بيننا ....تفاهمًا مباركًا .. ولست أعتقد أن بين اثنين سوانا مثل هذا التعاطف الطبيعي كلانا خلق لصاحبه ، ولكن لهذه الأمور مقتضياتها مستلزمات لا مفر منها نولا معدى عنها ،إذا لم يكن الزواج هو المصير فليس يجوز أن ينشأ بيننا أو يظل مثل هذا التفاهم ، إنه تحد للطبيعة : أن يتحاب اثنان ثم لا شيء . الشأن شأننا في الحقيقة والأمر لا يعني سوانا ولكن الأيام مقلوبة والعادات والتقاليد سخيفة منافية للعقل والواجب . صارمة أيضا . ونحن نوشك أن نحدث في سورها ثغرة ..أن نقتحم الحصن المنيع الذي بناه الجهل . ولست أراك تقوين على ذلك ولا أحسبني خيرا منك . ينبغي أن نفتح عيوننا . عاجلا أو آجلا أنا أوثر أن يكون ذلك آجلا . وهو أحلى وأعذب وأندى على النفس ، ولكنه لن يكون

إلا حلما مهما طال . ونحن ننسى أحيانا مصير كل شيء لا يساير التيار ولا يوافق الزمن ولا يطابق روح الأيام وإذا كان لابد من التحطيم على صخور التقاليد فليكن ذلك ... اليوم) .

الانكسار في شخصية إبراهيم :

والصراع هنا يكتسب لونا خاصا من خلال شخصية إبراهيم ، فهو يتعامل مع خطوط وجوده تعاملا عقلانيا ومنطقيا مع عالم يعرفه أنه لا يحكمه عقل ولا منطق ، فإن لم يكن زواجا فلا يجب أن ينشأ بينه وبين شوشو أي علاقة من أي نوع ما ، ويعي أن هناك صدام وصلاع بينه وبين هذا العالم ، ولكنه يرى نفسه دون هذاالصراع ودون هذا الجهاد والكفاح ... فلا هي تستطيع الصمود لتحطيم هذا الوجود الذي يعارض رغبتها وإعادة صياغة وجود يحترم أول ما يحترم مشاعر الإنسان ، ما دامت قائمة على أساس من الحب ، ولا هو يستطيع ذلك ... وهو لا يواجه الوجود مواجهة صريحة بل يخضع له ويؤمن بحكمه ويوافق على مقدراته ليس هذا فحسب ن بل يأخذ على عاتقه أن يمحي أي إرادة لدى شوشو تدفعها للتمسك بحبه ، ومقاومة تلك العادات والتقاليد ، تقول شوشو: (...لا أقدر ....لا أقدر مرة واحدة ...كلا لا أقدر) .

فمسح لها شعرها في رفق وقال : (لابد ... وغنك تعلمين ذلك أن نكسر قلبينا) .

ويظل يحاول اقناعها ، حتى تقتنع بالتخلي عن حبها له والتسليم لقوة العادات والتقاليد ...وهو إن أدار الأمر في ذهنه أو كان يميل إلى احتمال قوة الصراع والصعود معه حتى الذروة لكان آثر الصراع وإن آب بالفشل ، لأنه

في الحالتين سيترك شوشو ، بل قد يظفر بها في نهاية الصراع ضد العادات والتقاليد وضد رغبة ابنة خالته (نجية) وضد إلحاح وإصرار (سميحة) للتزوج به ، وضد رغبة الدكتور (محمود) للتزوج من شوشو ..ولكنه لا يقدر على الصراع ويؤد – متعمدا – كل شعور وإحساس يضفي إلى وجوده معنى ساميا .

ويلخص إبراهيم انكسار وهروبه من مواجهة ما يعترض طريقه ، في صفحة (١١٢) يقول : (ونهض إبراهيم يتمشى ، وراح يتصور المستقبل المظلم الذي قسم لشوشو ن سيزوجونها يوما ما واحدًا لا تعرفه ، أو تعرفه ولا تحبه ، واحدًا كالدكتور مثلا فلا تجرؤ أن ترفض وهبها استطاعت أن تجترئ وحبست نفسها عن التزوج ، فإن هذا لا يكون أقل قسوة ، ولماذا كل هذا ؟ لنه هو – إبراهيم – أقنطها ودعاها إلى اليأس وزينه لها على الرغم من حبها له ومن حبه لها . فهل من حقه هذا ؟ هل تجيز رجولته له أن يتخلى عنها ويدعها تحترق – تحترق في الجحيم الذي اضرمه بيده ثم قذف بها فيه ؟ الا يشعر أنه مسئول عن مصيرها هذا ؟ بلى وإن تبعته لعظيمة وهبه غير مسئول فإن عليه واجبا لنفسه ، فلماذا يسمح لسميحه أن تعترض طريقه وتاخذ عليه متوجهه ؟ ما سميحة ؟ فتاة ؟ ومن اجلها يدع نفسه يشقى ؟ ومن أجلها يترك شوشو تعاني الغصص ؟

ومن أجلها يقف هو وشوشو متقابلين ولكنهما محرومان معذبان ؟ لا يفصلهما شيء غير ان أيديهما لا ترتفع ، وشفاهما لا تلتقي ، وأنفاسهما الحارة لا تبرد ؟ كلاهما يجب أن يصرع رغبته في الحياة ، كلاهما ينبغي أن يغيب – وهو حي جدا – في فراغ الموت المظلم – يجف ويذوي ويرفض الماء الذي يرويه ويقتات سم الألم ، وتذبل شوشو ويبيض شعرها الجميل المتهدل على جيدها الناصع المتألق

وتغور عيناها وتعمق الكهوف حولها وتنقلب تغريداتها نعيبا وفتنة صوتها حشرجة لا سميحة تشاء هذا ؟؟)

إنه تسليم لا تشوبه أي سمة من سمات المقاومة والاعتراض ، تسليم يشبه تسليم مسلوبي الإرادة أو الأموات الذين ليس بهم إرادة الحياة ، تلك الإرادة التي تجاهد وتكافح وتصارع لتحقق وجودها حتى وإن لم يكلل جهادها بنجاح ، ففي فشلها – بعد الصراع والكفاح – إخراج لما كان يضطرب في النفس ، مع أنه يعلم أن خضوعه واستسلامه هذا لن يجني ثماره المرة هو فقط ، بل ستشاركه في هذا تلك النفس التي أحبها في إخلاص وقوة (شوشو) ، ونلاحظ هنا أن الانكسار في شخصية إبراهيم ألقى بظلاله على شخصية أخرى ، فلت يتحمل وحده عاقبة رجوعه هذا بل شوشو أيضا ، وإن كانت بنفسها شيئا من المقاومة إلاَّ أنه استطاع أن يقنعها بنظرته إلى الأمور ، أو يطبعها بطبعه السلبي ، أو قد يكون تبرير مسلك إبراهيم هذا أنه لا يرى في الوجود ما يستدعي مثل هذا الجهاد والكفاح ، ولكن إذا كان ذلك كذلك فهو شخصية مطموسة الملامح ليس لها أي لون أو تميز وتستحق – بحق – الرثاء .

وهذا الموقف – موقف إبراهيم – يستدعي سمة من سمات المؤلف وهي سمة السخرية ، فيسارع بها ليثري الموقف ، فيلوم إبراهيم نفسه على هذا التخاذل والضعف فيقول : (لأني أنا ضعيف مهين كغيري من الناس الذين احتقرهم من أعماق قلبي ،لأني لست من طراز بروميثيوس؟لأني لا أزال أنظر إلى الأشياء من وجهة شخصية أنانية ؟ (أنا) دائما ، و(أنا) في كل شيء- بحسبي أن فزت منها بقبلة ! يا لها من نعمة ! وما أعظم بطولتي ! ثم أدعها تغرق في اللجة الطامية

التي دفعتها إليها ! اتركها تحترق في النار التي اوقدتها وعجزت عن إخمادها . كلا كلا لن يكون هذا) .

وهذا لا يزيد عن كونه سخرية من نفسه فقط ، وليس رفضا لواقعه ، وهي هنا سلبية لا تدفعه إلى تبديل موقفه من الوجود ، بقدر ما تدفعه إلى الأكثار من تأمل مرارة وقتامة هذا الوجود والواقع .

وحينما يخبر الشيخ على زوجه (نجية) برغبة إبراهيم التزوج من شوشو ترفض بإباء حتى ولو (ملأ حجرها ذهبا) على حد قولها ، لأن هناك سميحة أما إذا شاء أن يتزوج سميحة فهي له بلا مهر وبلا قيد أو شرط .

وإن نظرنا إلى الأمور فهي مناسبة لأن يدخل إبراهيم في جهاد لينال شوشو لاسيما وان الشيخ (على) وشوشو ، سوف يعاونه في جهاده هذا ، ولكنه كما ترك (ماري) من قبل ن ترك شوشو أيضا ن فهو لا يقدر على الصمود أو الصراع ، واخذ يبحث عن وجود آخر لا ندري ما سماته ولا أوصافه ... ولكن أين هذا الوجود الذي لا يقتضي من الإنسان الدخول في صراع وجهاد من أجل تحقيق هذا الوجود ؟

وعلل هروبه إلى الأقصر بأنه جرح في كبريائه ، وطعن في كرامته ، وتلك حجة ضعيفة جدا لا تبرر هروبه ، لأنه قبل أن تقول (نجية) كلمتها كان إبراهيم يوطن نفسه على الانسلاخ من الصراع ضد (نجية) أو ضد العادات والتقاليد ، فقد اتخذ إبراهيم من كلمة (نجية) ورفضها ستارا يداري به حقيقة نفسه ، لأنه ضعيف ومتخاذل أمام التزامه ومسئوليته لشوشو .

ويذهب إبراهيم إلى الأقصر ، وهناك يقابل (ليلى) وتنشأ علاقة حب بينهما ومن عجيب الأمر أنك تشعر بإبراهيم مختلف عن إبراهيم الذي كان مع شوشو

ذلك الذي نصح شوشو أن تدفن حبها وتنسى كل شيء ، إبراهيم الذي ترك شوشو لمجرد كلمة قالتها أختها (سميحة) أو كان يظن أن شوشو ستقدم إليه على صحن من ذهب ؟

ترى إبراهيم وهو مع ليلى شخصا مختلفا كل الاختلاف عنه عما كان مع شوشو ، أهو انفصام في الشخصية أم التناقض مع النفس أم أن إبراهيم مع ليلى قد استفاد من أخطاء إبراهيم مع شوشو ، اقرأ معي ما يقوله إبراهيم لليلى في صفحة (١٩٢) وقارن بينه وبين ما كان يقوله إبراهيم لشوشو : (إنك تخجلين أن تطيعي رغباتك ، وليس خجلك لأني معك وإني أرى ما تفعلين ، فلو كنت وحدك لما اجترأت أن تطلقي لنفسك العنان وأن تفعلي ما يهتف به جسمك ، لأن كغيرك – مثلي ومثل الناس جميعا – تؤثرين أن توهمي نفسك أنك فوق الحياة ، وفوق دواعيها ، وإن كنت تعلمين في أعمق أعماق سريرتك أنك لست إلاَّ مظهرًا ضئيلاً وإن كانت مقاومة منك لطبيعتها وسننها الخالدة وأحكامها المبرمة التي لا مفر منها مجلبة للشقاء والألم . لماذا تحسين الخجل والعار من رغباتك الطبيعية ؟ ؟

لماذا تخفينها ؟ إن القوى المحبوسة في النفس تتطلب منفذا والجسم ينشد السرور واللذة ويتعذب من جراء صده وحرمانه) .

وكل ما يستطيع غبراهيم عمله أن يحلم ... والحلم لديه تجسيد للمستحيل بينما الحلم هو دافع للإنسان أن يحاول تحقيق هذا الحلم وإبرازه للوجود ، الحلم مدد وشحن لطاقات . الإنسان لنحت الحلم من صخور المستحيل ، وجذبه إلى اودية الإمكان الخضراء ، وهذا يظهر لنا إبراهيم شخصية مسطحة ليس لها أي عمق ، شخصية هاربة دوما لا قدرة لها على خلق وجودها ، وكل ما تفعله أن تخلق

ولكن في الحلم وفي الخيال ، وليس هو بالشخصية الذاهلة عن ذاته ، ولكن يعيها ويعي هذا القصور ، وذاك الضعف الكائن في ذاته ، لذلك نراه يأسف على تلك النفس العاجزة .

ولكن أهذا العجز عن الصراع راجع إلى ضعف في الشخصية أم عن وعي كامل بحقيقة الوجود ، وان الإنسان سيان حقق ما يريده أم لم يحققه ، ففي النهاية كل الأضداد متساوية كما يقول الدكتور (محمد مندور) في كتابه (نماذج بشرية) في صفحة (٧٩). يقول : (ولقد بلا إبراهيم الحياة وعضته بأنيابها العضل حتى أصبح يحذرها في يقظة مستمرة فلا يستجيب لندائها أو يحاط به) ، ولكن الدكتور (مندور) فاته إن إبراهيم رغما عنه يستجيب لنداء الحياة وهواتفها ولكن استجابة العاجز المسلوب الإرادة . وإلاَّ لم خايله الحلم كما يقول لليلى في صفحة (١٩٣) : عصر يستطيع فيه أن يباشر حريته التي لا تعتدي على حرية سواه ، عصر يستقطر فيه ويعتصر من الحياة كل متعها في جراة وحرية) .

فسألته : (ولكن كيف يكون ذلك ، أنرجع إلى الهمجية الأولى ؟) .

فقال : (من قال ذلك ؟ كلا . ذلك كان عصرًا سخيفًا ، ولم يكن الإنسان فيه يقدر حريته أو يعرف قيمتها أو حدودها فكانت الحرية فوضى وكان هو لا يستحق التي لا يفهمها ولا يحترمها ولا يحسن الاستمتاع بها ، وعصرنا الحاضر أيضا سخيف ، لأن التقاليد الخاطئة تتحكم في العقل تحكمها في الجسم ، ولأنه تنقصه الهمة والذكاء والرشد ، وإنما أحلم بعصر لا يستحي فيه الإنسان من نفسه ومن غرائزه المهذبة ومن مطالب هذه الغرائز ، لا يخجل ان يرمي طربوشه إذا شاء ذلك ويمشي عاري الراس إذا أحس ان ذلك أكفل بإشعاره بالغبطة والفرح ، ولا أن يثب

في الطرقات ويرقص في الشارع أو يجلس بثيابه الأنيقة على الحجارة أو التراب أذا اشتهى هذا ، لأن الوثب والرقص والجلوس على التراب لا يضير أحدًا) .

ومواقف إبراهيم من الوجود ومن الحياة – هذا العجز الإرادي – يتضح حينما يتذكر أمه في لحظات مرضه ، وإيمانه أن الإنسان يستطيع أن ينتصر على المرض ليس من خلال الاصغاء إلى أوامر طبيبه وإنما بالاستخفاف به وبالاستهانة وبعدم الاكتراث ، يقول في صفحة (٢٢٦) : (ولو أن أمه كانت هي المريضة لغلبت المرض بقدرتها المدهشة على الاستخفاف به ، أو إذا شئت فقل بعجزها عن إدراك حقيقة ومدى خطورته – لا بل بقوة الاستخفاف بالاستهانة ، بالإيمان القوي الذي يجعل النفس تتلقي كل ما يصيبها باطمئنان وابتسام وقلة مبالاة بما يكون ، وبثقة بأن المصير خير على التحقيق ، وانه لا موجب للإكتراث) .

وهذا يفسر الكثير من تصرفات إبراهيم ومواقفه ، فإن ما حدث في الوجود كان لابد حادث ، سواء اعترض أم لم يعترض فما الداعي إلى بذل الجهد أو الصراع أو الكفاح ...ولكن نسي إبراهيم أن الإنسان لا يستطيع أن يعلم الغيب ، وهذا الجهل من الإنسان يدفعه إلى أن يصارع فإذا تغيرت الأمور وسارت على وفق ما يبغي من خلال جهاده فقد نجح ، أما إذا لم تسايره الأمور وخاب مسعاه فقد عمل ما عليه .

وكما ترك إبراهيم (ماري) وترك (شوشو) ترك أيضا (ليلى) . فحينما قرأت ليلى تلك الرسائل التي أرسلتها شوشو من خلال حديثها مع الشيخ (على) حينما حضر هو والدكتور (محمود) إلى الأقصر للاطمئنان على إبراهيم ، عرفت ما بين إبراهيم وشوشو ، فآثرت أن تخلي المكان لشوشو ، مع أن في أحشائها طفلا من

غبراهيم ،ولم ترد أنتخبره بذلك كي لا يكون بمثابة إجبار منها له كي يتزوج بها ،ولكن كيفف لليلي أن تترك إبراهيم بدون سبب ، حتى بالنسبة له ؟

فاختلقت له أن لها ماضيا مشينا ، فآثر الفراق بدون إبداء أي اعتراض أو تمسك بليلي ، وتنتهي قصة إبراهيم مع ليلى كما انتهت من قبل مع (ماري) ومع (شوشو) التي تزوجت – فيما بعد – من الدكتور (محمود) ، ويبقى إبراهيم وحيدًا منفردًا .

obeikandl.com